المحاضرة السادسة

الخطبة رقم ١٤٠

ومن كلام له عليه السلام في النهي عن عيب الناس

وَإِنَّمَا يَنْبَغِي لِأَهْلِ الْعِصْمَةِ ، وَالْمَصْنُوعِ إِلَيْهِمْ فِي السَّلَامَةِ ، أَنْ يَرْحَمُوا[1] أَهْلَ الذُّنُوبِ وَالْمَعْصِيَةِ ، وَيَكُونَ الشُّكْرُ هُوَ الْغَالِبَ عَلَيْهِمْ ، وَالْحَاجِزَ لَهُمْ عَنْهُمْ ، فَكَيْفَ بِالْعَائِبِ الَّذِي عَابَ أَخَاهُ وَعَيَّرَهُ بِبَلْوَاهُ ، أَمَا ذَكَرَ مَوْضِعَ سَتْرِ اللَّهِ عَلَيْهِ مِنْ ذُنُوبِهِ مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ الَّذِي عَابَهُ بِهِ وَكَيْفَ يَذُمُّهُ بِذَنْبٍ قَدْ رَكِبَ مِثْلَهُ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ رَكِبَ ذَلِكَ الذَّنْبَ بِعَيْنِهِ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ فِيمَا سِوَاهُ مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ وَايْمُ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ عَصَاهُ فِي الْكَبِيرِ وَعَصَاهُ فِي الصَّغِيرِ لَجُرْأَتُهُ عَلَى عَيْبِ النَّاسِ أَكْبَرُ يَا عَبْدَ اللَّهِ لَا تَعْجَلْ فِي عَيْبِ عَبْدٍ بِذَنْبِهِ فَلَعَلَّهُ مَغْفُورٌ لَهُ وَلَا تَأْمَنْ عَلَى نَفْسِكَ صِغَرَ مَعْصِيَةٍ فَلَعَلَّكَ مُعَذَّبٌ عَلَيْهِ فَلْيَكُفَّ مَنْ عَلِمَ مِنْكُمْ عَيْبَ غَيْرِهِ لِمَا يَعْلَمُ مِنْ عَيْبِ نَفْسِهِ وَلْيَكُنِ الشُّكْرُ شَاغِلًا لَهُ عَلَى مُعَافَاتِهِ مِمَّا ابْتُلِيَ بِهِ غَيْرُهُ .

معاني المفردات:

١ـ العصمة: المنع، ملكة اجتناب المعاصي والخطأ

٢ـ المصنوع إليهم: من الصنيعة وهو الإحسان

٣ـ عيّره بكذا: ذكر عيوبه استهانة به

٤ـ البلوى: المصيبة

٥ـ فليكفف: مِن كفَّ، إذا امتنع

٦ـ عافاه الله: وهب له العافية من العلل والأسقام

شرح النص

(وَإِنَّمَا يَنْبَغِي لِأَهْلِ الْعِصْمَةِ وَالْمَصْنُوعِ إِلَيْهِمْ فِي السَّلَامَةِ أَنْ يَرْحَمُوا أَهْلَ الذُّنُوبِ وَالْمَعْصِيَةِ) يقصد الامام سلام الله عليه بأهل العصمة هم الذين حفظهم الله تعالى من اقتراف الآثام والمراد الذين لا يعصونه سبحانه مثل (العدول)، والذين صنع الله اليهم في أن سلموا من الآثام والسيئات، فعلى هؤلاء ان يهتموا لأهل الذنوب والمعصية بإقصاءهم عن الذنوب والمعاصي ويرشدوهم وينصحوهم كما نقول مثلاً (تَرَحَّم على المريض) أي اعطف عليه وخلصه من المرض.

(وَيَكُونَ الشُّكْرُ هُوَ الْغَالِبَ عَلَيْهِمْ وَالْحَاجِزَ لَهُمْ عَنْهُمْ) وهؤلاء الذين انعم الله عليهم بإرشادهم الى الطريق وحفظهم من العصيان فلابد ان يكون الشكر منهم لله على ذلك هو الغالب والمانع (الحاجز) لأهل العصمة من اهل المعصية وعيبهم، فيشكروا الله لأنهم سلموا من المعاصي وثانياً يمنعهم من إعابة أهل المعصية.

(فَكَيْفَ بِالْعَائِبِ الَّذِي عَابَ أَخَاهُ وَعَيَّرَهُ بِبَلْوَاهُ) فهو بعدم شكره قد خالف اللازم له فاذا لم يرحم اهل المعاصي ولم يشكر فكيف اذا زاد على ذلك بالعيب لأهل المعصية وذكر معائبهم وعير اخاه بلواه التي ابتلي بها من المعصية.

(أَمَا ذَكَرَ مَوْضِعَ سَتْرِ اللهِ عَلَيْهِ مِنْ ذُنُوبِهِ ما هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ الَّذِي عَابَهُ بِهِ) اما ذكر هذا العائبُ أخاه؛ ستر الله تعالى عليه وعلى ذنوبه التي هي اعظم مما عاب به فممكن القول ان اهل الصلاح مهما كانوا اتقياء - ما عدا المعصومين- لابد وان قد ارتكبوا معاصي وجرائم اعظم من التي ارتكبها الفساق لأنه محسوب على اهل الصلاح فتكون اعظم من جرائم الفساق (بالنسبة الى انفسهم).

(وَكَيْفَ يَذُمُّهُ بِذَنْبٍ قَدْ رَكِبَ مِثْلَهُ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ رَكِبَ ذلِكَ الذَّنْبَ بِعَيْنِهِ فَقَدْ عَصَى اللهَ فِيمَا سِوَاهُ مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ) وحتى لو لم يكن قد ارتكب ذنباً قبلاً ذلك فعيبه للناس هو ذنب وان لم يرتكب قبلها كبيراً ولا صغيراً فذنبه هو عيبه للناس.

(يَا عَبْدَ اللهِ، لاَ تَعْجَلْ فِي عَيْبِ أَحَدٍ بِذَنْبِهِ، فَلَعَلَّهُ مَغْفُورٌ لَهُ، وَلا تَأْمَنْ عَلَى نَفْسِكَ صَغِيرَ مَعْصِيَةٍ، فَلَعَلَّكَ مُعَذَّبٌ عَلَيْهِ) اذ لا يعلم الانسان مورد غضب الله تعالى لذلك ورد (لا تحقر شيئاً من المعاصي لعل فيها غضب الله سبحانه).

(فَلْيَكْفُفْ مَنْ عَلِمَ مِنْكُمْ عَيْبَ غَيْرِهِ لِمَا يَعْلَمُ مِنْ عَيْبِ نَفْسِهِ، وَلْيَكُنِ الشُّكْرُ شَاغِلاً لَهُ عَلَى مُعَافَاتِهِ مِمَّا ابْتُلِيَ بِهِ غَيْرُهُ) ثم يختم عليه السلام وليحفظ أحدكم عيب غيره لما يعلم من عيب نفسه وليشكر الانسان الله على حسن توفيقه ومعافاته من الذنوب التي ابتلي بها غيره.

ورد في نهج البلاغة أن أمير المؤمنين ع قال: أَكْبَرُ العَيْبِ أن تَعِيبَ مَا فيكَ مِثْلُهُ.